﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٩٢﴾ [البقرة: 192]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

"بيّنتِ الآيةُ السّابقةُ بعضَ أحكام القتال، وفي هذه الآية بيانٌ لبعضٍ آخرَ"[1]، فلَمَّا كان الأمرُ بالقتال مُتعلِّقًا بابتدائِهم به، أعقبَه بذكر حُكم انتهائهم عنه، مبيِّنًا مغفرتَه ورحمتَه، وقيل: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ﴾ أي: عنِ القتال ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾، أي: فكُفّوا عنهم ولا تَتعرّضُوا لهم تَخلُّقًا بصِفَتَي الحقّ تعالى المذكورتَيْن، وهما: المغفرةُ والرّحمةُ، هذا ظاهرُ المساق، وقال بعضُهم: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ﴾ أي: عنِ الشِّرك والقِتال، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ لما سلَف من طُغيانهم، ﴿رَّحِيمٞ﴾ بقَبول توبتِهم وإيمانِهم"[2]، وكلا المعنَيَيْن يَتناسبُ مع الآيات السّابقة، ليكملَ ما يتأتّى من نتائجِ القتال، وأيلولَتِه إلى الانتهاء مهما طال الزّمانُ، لأنّ السِّلم أصلٌ، والحربَ استثناءٌ، وهي ما تلبثُ أن تضع أوزارَها.

من كفَّ وعفَّ، تِيبَ عليه وغُفرَ له ورُحم

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱنتَهَوۡاْ﴾: (نَهَيَ) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى غَايَةٍ وَبُلُوغٍ، وَمِنْهُ أَنْهَيْتُ إِلَيْهِ الخَبَرَ: بَلَّغْتُهُ إِيَّاهُ، وَمِنْهُ نَهَيْتُهُ عَنْهُ، وَذَلِكَ لِأَمْرٍ يَفْعَلُهُ، فَإِذَا نَهَيْتَهُ فَانْتَهَى عَنْكَ فَتِلْكَ غَايَةُ مَا كَانَ وَآخِرُهُ[3]، الانتهاءُ: الانزجارُ عمّا نُهي عنه؛ لأنّه مُطاوع نهيته، والنّهيُ الزّجرُ[4]. "وَمَعْنَى: انْتَهَى: كَفَّ، وهو افْتَعَلَ؛ مِنَ النَّهْيِ، ومَعْنَاهُ فِعْلُ الفَاعِلِ بِنَفْسِهِ، وهو نَحْوُ قَوْلِهِمُ: اضْطَرَبَ، وهو أَحَدُ المَعَانِي الَّتِي جَاءَتْ لَهَا: افْتَعَلَ"[5].

ما نهى الله عن مُحرّمٍ خَطِرٍ، إلّا وفيه ضررٌ لعُموم البشر

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 2/584.
(2) القاسميّ، محاسن التّأويل: 2/58.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نَهَيَ).
(4) الرّاغب، تفسير الرّاغب: 1/407، والسّمين، عمدة الحفّاظ: (نهي).
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 2/246.

ومعنى الآية: تَرَكُوا ما هم فيه من الكفرِ والقِتالِ.

من رحمةِ الله بعباده، أنّه غفورٌ رحيمٌ

2) ﴿غَفُورٌ﴾: من (غفَر)، وأصلُ الغَفْر: التّغطيةُ، يقال: غفَر اللّه لك غَفْرًا وغُفرانًا ومَغفرةً، والمغفرةُ: إلباسُ اللّه تعالى العفوَ للمُذنبين، والغفور من أسماء اللّه تعالى، ومعناه: السّاترُ لذنوب عبادِه وعُيوبِهم، المتجاوزُ عن خَطاياهم وذُنوبِهم[1].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الإسلامُ يجُبُّ ما قبله، والتّوبةُ تمحُو ما مضى:

رحمةُ اللهِ تطالُ كُلَّ تائبٍ انتهَى عنِ الغيّ والضّلال، وأخلصَ للحَيّ المُتعالي

فإن انتهى الكافرون الذين يقاتلونكم عن قتالكم وكفرهم باللّه، وتَركوا ما هم فيه منَ الكُفر، وقتالِكم عند المسجد الحَرام، ودخلُوا في الإيمان، فإنّ اللّه غفورٌ لعباده، يَغفرُ لهم ما سبق من زلّاتهم، ويمحُو خطيئاتِهم، إذا هم تابُواْ عمّا اقْترَفواْ، وأحسنواْ واتّقواْ، رحيمٌ بهم، وكلُّ مَن تابَ مِن كُفرٍ أو معصيةٍ، فشأنُ اللّه معه أن يغفِرَ له ويرحمَه[2].

❁ الإيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

سِرُّ التّعبيرِ بأداةِ الشَّرطِ ﴿فَإِنِ﴾ دون (إذا) في قولِه: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ﴾:

الإشعارُ بأنَّ الإيمانَ سيُصيبُ طائفةً من الكافرين

جاءَ النَّظمُ بأداة الشّرطِ الدّالّةِ على الشّكّ؛ للإشعارِ بقلّةِ مَن سيُؤمنُ منهم، قال البقاعيّ في قولِه تعالى: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ﴾ "أي: عنِ القتال ومُقدّماتِه، وفيه إشعارٌ بأنّ طائفةً منهم تَنتهي، فإنّ العالِمَ بكلّ شيءٍ لا يُعبّرُ بأداة الشّكّ إلّا كذلك"[3].

تقديرُ مُتعلّقِ المُنتهَى عنه: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ﴾:

اختُلف في تعلُّق فعلِ الانتهاءِ في قولِه تعالى: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ﴾ هل هو متعلِّقٌ بالقتالِ أوِ الكُفر، "قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَإِنِ انْتَهَوْا عَنِ القِتَالِ، وقَالَ الحَسَنُ: فَإِنِ انْتَهَوْا عَنِ الشِّرْكِ.

(1) ابن الأثير، النّهاية في غريب الحديث والأثر: 3/373.
(2) نخبة من العلماء، التّفسير الميسّر: ص: 30، والمراغيّ، تفسير المراغي: 2/90، وطنطاويّ، التّفسير الوسيط للقرآن الكريم: 1/411.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 3/112- 113.

حُجَّةُ القَوْلِ الأَوَّلِ: أَنَّ المَقْصُودَ مِنَ الإِذْنِ فِي القِتَالِ مَنْعُ الكُفَّارِ عَنِ المُقَاتَلَةِ، فَكَانَ قَوْلُهُ: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ﴾ مَحْمُولًا عَلَى تَرْكِ المُقَاتَلَةِ.

المُتَعلَّقُ المحذوفُ هو الكفرُ المقترنُ بالقتالِ، لا عمومُ الكفرِ

حُجَّةُ القَوْلِ الثَّانِي: أَنَّ الكَافِرَ لَا يَنَالُ غُفْرَانَ اللَّهِ وَرَحْمَتَهُ بِتَرْكِ القِتَالِ، بَلْ بِتَرْكِ الكُفْرِ"[1]؛ "وَلِذَلِكَ عَلَّقَ عَلَيْهِ الغُفْرَانَ وَالرَّحْمَةَ، وَهُمَا لَا يَكُونَانِ مَعَ الكُفْرِ، ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: 38]، وَتَقَدَّمَ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ مِنَ اللَّفْظِ، وهو جَزَاءُ الكَافِرِينَ، وسِيَاقُ الكَلَامِ إِنَّمَا هو مَعَ الكُفَّارِ، وقِيلَ: فَإِنِ انْتَهَوْا عَنِ المُقَاتَلَةِ وَالشِّرْكِ، لِتَقَدُّمِهِمَا فِي الكَلَامِ، وهو حَسَنٌ، وَقِيلَ: عَنِ القِتَالِ دُونَ الكُفْرِ، وَلَيْسَ الغُفْرَانُ لَهُمْ عَلَى هَذَا القَوْلِ، بَلِ المَعْنَى: فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ لَكُمْ رَحِيمٌ بِكُمْ، حَيْثُ أَسْقَطَ عَنْكُمْ تَكْلِيفَ قِتَالِهِمْ"[2].

براعةُ النَّظمِ في جمعِ قولَيْ السَّلفِ

والصَّحيحُ الوجيهُ أنَّ المقصودَ هو الانتهاءُ عن الكفرِ؛ لكن لا بمعناه العامّ، بل بمعناه المذكورِ في الآيةِ، إذِ الآيةُ نزلتْ في قومٍ لا يكون منهم إلَّا أحدُ أمرين، الكفرُ مع القتالِ، أو الإيمان، وهذا ما تدلُّ عليه العاقبةُ؛ فإنَّ القومَ انقسموا إلى قسمين: فمنهم مَن آمن بعد كفرِه وقتالِه، ومنهم مَن قاتل وهو كافرٌ ومات كافرًا، ولا ثالث لهذين القسمين في كفَّارِ مكَّة؛ فيكون المتعلَّقُ على ذلك هو الكفرُ المقترن بالقتالِ، أي: انتهوا عن القتال فآمنوا، وعليه يكون الوارد عن السَّلفِ في ذلك صحيحٌ في جملتِه.

التّعقيبُ بمغفرةِ الله لهم: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾:

من انتهى عن الذَّنبِ وكفَّ، يُغفرْ له ما قد سلَف

جاءَ التَّعقيبُ في فاصلةِ الآيةِ بصفتي الغفور والرَّحيم، وقد "نبّه بالآية، أنّ المُنتهي عنِ الذّنب، يُغفرُ له ما تقدّم من ذنبه، وذلك عامٌّ في أمور الدّنيا والآخرة، إلّا ما دلّتِ الدّلالةُ على الأخذ به، من حقوقِ

(1) الرّازي، التّفسير الكبير: 5/291.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 2/245.

الآدَميين، وعلى هذا قولُه ﷻ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾ [الأنفال: 38]، وقولُه ﷺ: «الإسلامُ يجبُّ ما قبله»[1]"[2].

الإيجازُ بالحذف في قولِه تعالى: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ﴾:

إيمانُ المعتدين يمنعُ قتلَهم؛ بل يُغفرُ ذنبهم

"أَيْ فَإِنِ انْتَهَوْا عَنْ قِتَالِكُمْ فَلَا تَقْتُلُوهُمْ؛ لِأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ، فَيَنبغي أَنْ يَكُونَ الغُفْرَانُ سُنَّةَ المُؤْمِنِينَ، فَقَوْلُهُ: فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ جَوَابُ الشَّرْطِ، وهو إِيجَازٌ بَدِيعٌ، إِذْ كُلُّ سَامِعٍ يَعْلَمُ أَنَّ وَصْفَ اللَّهِ بِالمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ، لَا يَتَرَتَّبُ عَلَى الِانْتِهَاءِ، فَيُعْلَمُ أَنَّهُ تَنْبِيهٌ لِوُجُوبِ المَغْفِرَةِ لَهُمْ، إِنِ انْتَهَوْا بِمَوْعِظَةٍ وَتَأْيِيدٍ لِلْمَحْذُوفِ، وَهَذَا مِنْ إِيجَازِ الحَذْفِ"[3].

(1) مسند أحمد: 29/315.

(2) الرّاغب، تفسير الرّاغب: 1/407.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/206.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث، سورة البقرة من الآية 181 إلى الآية 247
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 181 إلى الآية 247 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 3 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-54-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 3 : سورة البقرة من الآية 181 إلى الآية 247.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-54-5
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1789539 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»